

مجالس فتيان الإسلام (المجموعة الثالثة) ١٠

مغازي رسول الله ﷺ الكبرى

غزوة تبوك

«ساعة العسرة»

بقلم
سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(١٠)

غزوة تبوك

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت : ٨٤٢٨١٤٦
ص.ب : ٢٩٨٢ - الرمز البريدي : ٣١٤٦١ - فاكس : ٨٤١٢١٠٠
الإحساء : الهفوف - شارع الجامعة - ت : ٥٨٣٣١٢٢
جدة - ت : ٦٨٠٥٤٩٣ - ٦٥١٦٥٤٩٢
الرياض - ت : ٤٢٦٦٣٣٩



مجالس فتيان الإسلام

المجموعة الثالثة

مغازي رسول الله ﷺ الكبرى

(١٠)

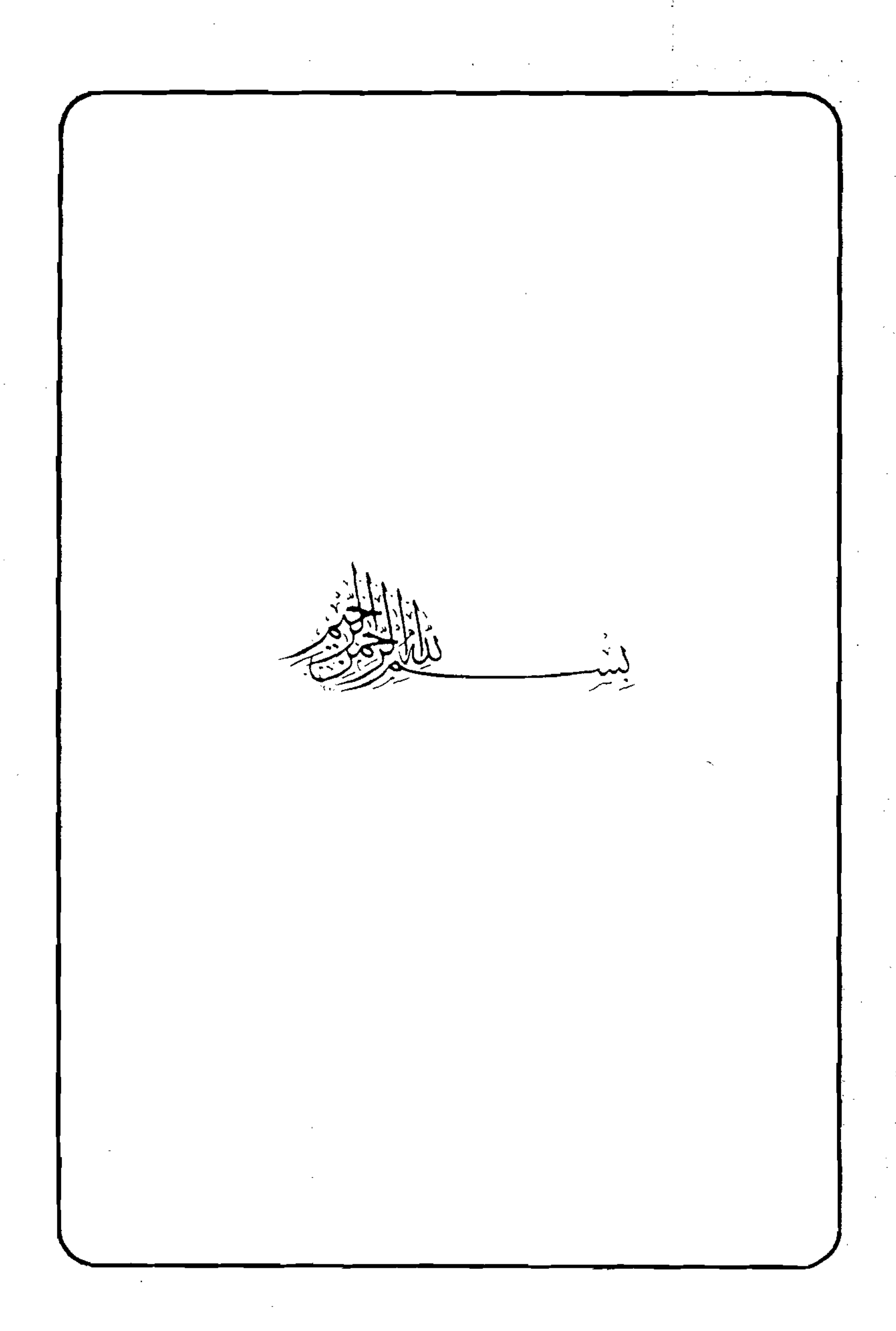
غزوة تبوك

« ساعة العسرة »

بقلم

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

عالمية الإسلام

اعلموا أيّها الأبناءُ الأَعزاء: أَن فَتْحَ مَكّةَ حَسَم المَوْقِفَ في شِبْه جَزيرَةِ العَرَبِ لصالحِ الإِسلامِ، فَقَد تَلَفَظَت الوَثَنيَةُ أَنْفاسَها الأَخيرَةَ.

قال أسامة: وَهَل تَوقَفَ جَيْشُ الإِسلامِ داخلِ حُدودِ الجَزيَرِة العَربِيةِ؟

قلت: أَلم تَعْلَم يا بُنَي أَنَّ الإسلامَ دينُ اللّهِ للنّاسِ كافّةً، وَأَنّ رسولَ اللّهِ ﷺ بُعِثَ رَحْمَةً للعالمين؟!

قال: بلى.

قلت: إذن الاستجابةُ الطّبيعِيَة لِفَريضَة الجِهادِ فِي الإسلامِ أَن يَمْتَدَّ الزَّحْفُ الإسلامِي خارِج حدودِ جَزيرَةِ العَرَبِ.

وقد كان الرّومُ أقرَبَ النّاس إلى جَزيرَةِ العَرَبِ فَهُم أولى النّاس بالدَّعْوَةِ إلى الإسلامِ وإبلاغِهم دَعوةَ الحَقِّ... وهذا ما وَجَّه القرآنُ حَمَلتَهُ إليه كَما في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

الروم والمد الإسلامي

وَفي الوَقْتِ نَفْسِه كان الرومُ يَرْقُبون المَدَّ الإسلامي فلما رأوه بَلَغ مَداه في الجَزيرَة العَرَبيَةِ رأوا أن يَضرِبوه في شَمالِ

الجَزيرَة ضَرَبةً تَرُده من حيث جاء، وَتُغْلِقَ عَليـه حُـدودَ جَـزيـرَةِ العَـرَبِ فَـلا يَستَطيـعُ التَّسَرُبَ مِنها.

وَتَرامَت الأنباءُ إلى رَسولِ اللّهِ ﷺ بتَهَيؤ الروماَن لغَزْوِ المُسلمين، وَيَظْهَرُ ذلك جَلياً[1] فيما أخبر به عُمَرُ بنُ الخَطاب رَضِي اللّهُ عَنه: وَكان لِي صاحِبٌ من الأَنْصارِ إذا غِبْتُ أَتاني بالخَبَرِ، وإذا غاب كُنت أنا آتيه بالخَبَرِ، وُنحنَ نَتَّخُوف مَلِكاً من مُلوك غَسّان ذُكِر لَنا أَنه يُريدُ أن يَسيرَ إلينا، فَقد امتَلأَت صُدورُنا مِنه، فإذا صاحِبي الأنصاري يَدُقُّ البابَ، فقال: افْتَحْ افْتَحْ، فَقلت: جاء الغَسَّانِي؟ فقال: بل أَشَدُّ من ذلك، اعتَزَلَ

(١) واضحاً.

رسولُ اللّهِ أَزْواجَه.

وَبِذلك يَكونُ الإسلامُ دَخَل مَرْحَلَةً جَدِيدَةً بِقِتالِ أَهْلِ الكِتابِ مِن النّصارى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾.

استعداد المسلمين للخروج

وَفَدت أَخبارُ استعدادِ الرّوم ونَصارى العَرَبِ لِغَزْوِ المَدَينَةِ، وكان فَصْلُ القَيْظِ[1] شديداً، والنَّاسُ يعانون عُسْرَةً وَجَدْباً، وَثَمَرُ

(١) الصيف.

المَدينَةِ طابَ وَحانَ قِطافُه[1]، فَكانَ النّاسُ يُحِبّون المقامَ في ثِمارِهِم وظِلالِهِم، وَيَكرَهون شُخوصَهم[2] على تلك الحالِ . . . ومع هذا كلِّهِ فالمسافاتُ طَويلَةٌ والطُّرُقُ وَعِرَةٌ . . . ولِهذه الظروفِ العَصيبةِ التي تواجه المُسلمين سُمِّيت بِغَزْوَةِ العُسْرَةِ، كما دَلَّت عليه أيضاً الآيَةُ الكَريمَةُ في سورَةِ التَّوْبَة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) جَنْيُه.

(٢) خروجهم.

قال مالك: هذا يَدُلُّ على أن القرآن الكَرِيمَ سَجَّلَ هَذه الغَزْوَةَ؟

قلت: إن الآيات التي أَنْزَلها اللّهُ في كتابه مُتَعَلِّقَةً بغَزْوَةِ العُسْرَةِ وأحداثِها وَمواقِفِ النّاس مِنها هي أَطْوَلُ ما نَزَلِ فِي قِتالِ المُسلمين وخُصومِهم، فَقد فاضَت بها صَفَحاتٌ مِن سورَةِ التّوْبَةِ، فَبَدأت باستنفارِ المسلمين لدَحْرِ كَيْدِ النّصْرانَية، وَبَيَّنَت أن الجهادَ هُو طَريقُ العِزِّ والكَرامَةِ والنَّصْرِ، وَفَضحت المُنافِقين، وَكَشَفت تَذبذُبَ المُتَرِّدين، وَهَدَمت حُجَجَ المُتْرَفين طُلابِ الدَّعَةِ[1] والرّاحَةِ الذين رَضوا أن يَكونوا مع

(١) الراحة والكسل.

الخَوالِف[1]: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

قال أنس: وهل نَكَصَ المُسلِمون أَمامَ هذه الصّعاب، وَسكتوا أَمَام تَحدّي النّصارى لِهذا الدّينِ؟

قلت: أَحَسَّ رسولُ الله ﷺ بالمَوْقِفِ وَخُطورَتِه فَرَأى أنه لو تَوانى[2] عن مُواجَهةِ الرّومِ وتركهم يَجوسون[3] خلال دِيارِ الإسلامِ لكان لِذلِك أَسْوَأَ الأَثرِ عَلى الدّعوَةِ

(١) جمع خالفة، وهي القاعدة في الدار من النساء.

(٢) تأخر.

(٣) يترددون بينها بالإفساد ويطلبون ما فيها.

الإِسلامية... وَلِذلك أَعْلَنَ فِي الصَّحابة رضي اللّه عنهم أن يَتَجَهَزوا، واستَنْفَر الأَعرابَ مِن حَولِ المَدينة، وَجَلّى[1] للنّاسِ أَمْرَهم لِيَتَأَهَبوا[2] أُهْبَةً كامِلَةً.

المنفقون على جيش العسرة

قالت هند: وَكَيف وَاجه المُسْلِمون الظُّروفَ الاقتصادِيَة الّتي كانوا يُواجهونها؟

قلت: حَثَّ رسولُ اللّه ﷺ عَلى النَّفَقَةِ وَرَغَّبَ في بَذْلِ الصَّدقاتِ وانفاقِ كَرائِم[3] الأَموالِ في سَبيل اللّهِ؛ وَوَعد المُنْفِقين بعظيمِ الأَجرِ مِن اللّهِ، وَلَم يَكُن مِن

---

(١) بَيَّن وأوضح.

(٢) يستعدوا.

(٣) أطيبها وأشرفها وأنفها.

المُسْلمين أن سَمِعوا ذلك مِن رَسولِ الله إلا وَسارَع أغنياءُ المُسْلِمين إلى تَقديم أموالِهم في سَبيلِ اللّهِ.

قال أسامة: أبتاه... هلاّ ذَكَرت لَنا أمْثَلةً مِن بَذْلِ الصّحابَةِ رضي اللّهُ عَنهم وَتَضحِياتِهم؟

قلت: لَقد كانَ عُثمانُ بنُ عَفّان رَضِي اللّهُ عَنه أَكْثَرَ المُنْفقين على جَيْشِ العُسْرَة؛ فعندما سَمع رَسولَ اللّهِ ﷺ يَقول: «مَن جَهزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَه الجَنّةُ»؛ جاءَ بأَلفِ دينارٍ فَصَبّها في حِجْرِ رَسولِ اللّه ﷺ، فَأُعجِبَ رسولُ الله ﷺ من كثرة ما أنفق، فقال ﷺ: «ما ضرَّ ابنُ عَفان ما عَمِل بَعْدَ اليَوْمِ».

وَتَتَابَعَ النَّاسُ بِصَدَقَاتِهِم قليلها وَكثيرِها، حتى كان منهم مَن أنفق مُدّاً[1] أو مدينُ لا يَمْلكُ غيْرَها، وَلَم يُمْسِك أَحَدٌ يَدَهُ إلا المُنافقون الّذين سَخِروا من الفُقَراءِ المُطَّوِّعِين فَأَنْزَل اللّهِ فيهم قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

حتى الفقراء الّذين شاقهم الجودُ بِأَنْفُسِهم في سبيلِ الله وَحَرَّكَهم داعي الجِهادِ لإعلاءِ كَلَمةِ الله ثم لَم يَجدوا ما يُبلغهم، فاضَت أعينُهم بالدّمْع... فأنزل الله فيهم قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ

(١) مكيال قديم، يُقَدَّر بملء حَفنة الرجل المتوسط.

﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾.

وَقد ضَرَب بَعضُهم أَمْثِلَةً رائِعَةً في التَّضْحِيَةِ، فَقَد رُوي أَن علبَةَ بن يَزيدِ أَنّه قامَ في الليل يُصَلّي، فَتَهَجَّدَ ما شاء اللّه ثُم بَكى وَقال: اللَّهمَّ إنك أمرت بالجهاد وَرَغبّتَ فيه، ثُم لَم تَجْعَل عَندي ما أتقوى بِه، وَلم تَجْعَل في يَدِ رَسولِك ما يَحملُني عَلَيه، وَإني أَتَصَدَّق عَلى كُلِّ مُسْلِم بِكُلِّ مَظْلَمَة أَصابَني فيها في مَالٍ أو جَسَدٍ أو عِرْضٍ.

وَأَصبَح الرّجُلُ فَقال رَسولُ اللّه ﷺ: «أَيْنَ المُتَصَدِّقُ هَذه اللّيلَة؟»، فَلَم يَقُم أَحَدٌ، ثُمَّ قَال ﷺ: «أَينَ المُتَصَدِّقُ فَلْيَقُم»، فَقامَ إِليه فَأَخْبَرَه، فَقال رسولُ اللّه ﷺ: «أَبْشِر

فوالذي نَفْسِي بيَدِه لَقد كُتبت فِي الزَّكاةِ المُتقَبَّلَةِ».

وَجاء المُنافِقون يَلْتَمِسون[1] الأَعذارَ للفَرارِ: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال قومٌ مِنهم لبعض: لا تنفروا في الحَرِّ، فأنزلَ الله فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾.

إن هذه الكَلِمةَ حَرْبٌ دِعائيَةٌ عِند إعلان النّفير العام، لأن فيها تَثْبيطٌ النّاس، فَهم يَعْلَمون أَنَّ الحَرَّ شَديدٌ، والنّاسُ يَفيئون

---

(١) ينتحلون ويطلبون.

إلى ظِلالِ أَشجارِهم، فكان المُنافِقون يَستَغلّون ذلك لأشاعَةِ روحِ التّخاذُلِ في صُفوفِ المُسلمين.

وَمن أَسخَفِ أَعذارِ المُنافقين أن بَعْضَهم جاءَ يَستأذِنُ رسولَ الله ويقول: لا تفتني، فأجابهم الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وَلَقد كانَت أعذارُهم كاذِبَةً واهيَةً، حتى إن اللّهَ عاتب نَبيَّه على إِذْنهِ لَهم: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

وَلذلك نَهى اللّهُ عن قَبولِ أَعذارِهم وَتَصديقهم: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ

إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ .

في الطريق إلى تبوك

تَحرّكَ رسولُ اللّهِ ﷺ يَتْبَعُه ثَلاثون أَلفَ مُقاتِلٍ نَحو الشَّمالِ يُريد تَبوكَ .

قَال أُسامَة : إِنّه عَددٌ يَدُلُّ عَلى مَدى استِجابَةِ المُؤمِنين لِداعي الجِهادِ في تلْك

الظَروفِ القاسِيَةِ مِن الحَرِّ الشَديدِ والعُسْرَةِ.

قلت: أَجَل يا بُنيَ، إن أَصْحابَ العَقيدَةِ لا يَنْكصون أمامَ الصّعابِ الثّقيلَةِ التي عانى منها الجَيْشُ الإسلامِي في طَريقِه إلى تَبوك.

قال أنس: حَدِّثنا يا أَبي عَن بَعْضِها، لِنُقدِّرَ تَضْحياتِ المُسلِمين الأَوائِل الذين أَوْصَلوا لَنا هذا الدينَ العَظيمَ؟

قلت: لَم يَخْرُجِ المُسلمون فِي مِثْلِ هذا الجَمْعِ الكَبير قَبْلَه قط، فَهو أَكْبَرُ جَيْشٍ قادَه الرّسولُ ﷺ في حَياتِه، وَلِذلك لم يَسْتَطِع المُسلِمون مَع ما بَذلوه مِن الأَموالِ أن يُجَهِزّوا الجَيْشَ تَجْهيزاً كامِلاً، فكان الرّجلان والثّلاثَةُ على بَعيرٍ واحِدٍ، وكان

النّفرُ يَتَناوَلون التَمْرَةَ يَمُصُّها هذا، ثَم يَشْرَبُ عَلَيهـا، ثـم يَمُصُّهـا هـذا، ثـم يَشْـرَبُ عَليها... وأصابَهم عَطَشٌ شَديدٌ، حتى جَعَلوا يَنْحَرون إبِلَهم لِيَنْفضوا أَكراشَها[1] ويَشربوا ماءَها، فَكان ذلك عَسْرَةً في الماءِ، والنّفَقَةِ، والظّهْرِ[2]؛ كَما بَيّن ذلك عُمَرُ بنُ الخَطاب رَضي اللّه عَنه:

قيل لِعُمَر بن الخطاب: حَدِّثنا عَن شأنِ ساعَةِ العُسْرَة.

فقال عمر: خَرجنا إلى تَبوك في قَيْظٍ شَديدٍ، فَنَزلنا مَنْزلاً، وأصابَنا فِيه عَطَشٌ

---

(١) جمع كِرْش، وهي لكل مُجْتَرٍّ بمنزلة المعدة للإنسان.

(٢) الدابة التى تحمل الأثقال، أو يركب عليها.

حتى ظَننّا أن رِقابَنا سَتَنْقَطِعُ، حتَى أن الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعيرَه فَيَعتَصِرُ فَرْثَه[1] فَيَشْرَبَه، ثَمّ يَجْعَل ما بَقي عَلى عَبْدِه.

فَقال أبو بكر الصّديق: يا رسولَ الله إن اللّهَ عَوّدك فِي الدّعاءِ خَيْراً، فادع اللّه لَنا.

فقال ﷺ: «أو تُحِبُّ ذلك»؟

قال أبو بكر: نَعم.

فَرَفَع رسولُ اللّهِ ﷺ يَدَيه إلى السّماءِ فَلم يَرْجِعْهُما حتى قالت السماء[2]، فَأَطَلّت، ثَم سَكَبَت، فَمَلأوا ما مَعهم، ثم

---

(١) بقايا الطعام في الكرش.

(٢) آذنت بالمطر

ذهبنا نَنظُرُ، فَلَم نَرَها جاوَزت العَسْكَرَ.

في الحجر

وفي الطّريقِ مرَّ المُسلمون بالحِجْرِ.

قالت هِنْد: ما الحِجْرُ؟

قالت: الدِّيارُ التي كانَت تَسْكُنُها ثَمود: ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ في وادي القرى، وَكانَت أَطلالٌ بائِدَةٌ وآثارٌ هامِدَةٌ تَذْكُرُ عَصْرَ الأَقوامِ الّذين كَذّبوا رُسل اللّهِ وَتَعَجّلوا عِقابَه، فَباؤوا بِغَضَبِه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۞ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

قال أسامة: أَهم المَذكورون في سورَةِ

الحِجْرِ: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ * وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

قلت: أَجَل.

قال مالك: وَماذا صَنع رَسولُ اللّه ﷺ وأصحابُه وَهم يَرَون مَساكِنَ الّذين ظَلَموا؟

قلت: أرادَ رسولُ اللّهِ ﷺ أَلا يَغْفَل المُسلمون عَن مَواطِن العِبْرَة والعِظَةِ، فَلِذلك قال لهم:

«لا تَدخُلوا مَساكنَ الذين ظَلَموا أنْفُسَهم إلا أن تَكونوا باكِين أن يَصيبَكم ما أَصابَهم».

ثم قنَّع[1] رأسَه وأسرعَ بالسَّيْرِ حتى جازَ[2] الوادي.

واعظ الإيمان

وهذا يدل يا أبنائي الأحباء على أن المُؤمِنَ يَعْتَبِرُ ويُحاسْبُ نَفْسَه.

قالت هند: حَدِّثنا يا أَبتاه بَمَثَلٍ على ذلك نَزدادُ به إِيماناً.

قلت: على الرَّأْسِ والعَيْنِ، فَمِن المُؤمِنين الذين تَأَخَّروا عن الخُروجِ مع رسولِ اللّه ﷺ أبو خَيْثَمة... وذات يَومٍ رَجَع بَعد أن سارَ رسولُ اللّه ﷺ أَياماً إلى

(١) لبس قناعاً.
(٢) قَطَعَ.

أَهْلِه في يوم حَارٍ، فَوَجد امرأتين له في عَريشين لَهما فِي حائِطِه[1]، قد رشَّت كُلُّ واحِدةٍ منهما عَريشها، وبرَّدت لَه الماءَ، وَهَيأَت له فيه طَعاماً، فَلما دَخَل قام على بابِ العَريش، فَنَظر إلى امرأتيه وما صَنَعتا لَه، فقال: رسولُ اللّه ﷺ في الضِّحِّ[2]، والرِّيح، والحَرِّ، وأبو خَيْثَمة في ظِلٍّ بارِدٍ، وَطَعامٍ مهيأ، وامرأةٍ حَسناءَ، في مالِه مُقيمٌ؟ ما هذا بالنَّصْفِ[3].

ثم قال: واللّه لا أَدْخُلُ عَريشَ واحَدَةٍ منكما حتى أَلْحَق بِرسولِ اللّهِ ﷺ، فَهَيئا لِي

---

(١) بستانه.

(٢) الشمس.

(٣) العَدْل.

زَاداً، فَفَعلتا، ثَم قدَّم ناضِحه[1] فارتَحَلَه، ثم خَرَج في طلبِ رَسولِ اللّهِ ﷺ فَرأى رَسولُ اللّه ﷺ رَجلاً مبيضاً يزول[2] به السَّرابُ[3] فقال: «كُن أبا خيثمة» فإذا به أبو خَيْثَمة.

عين تبوك

وقبل وُصولِ رَسولِ اللّه ﷺ وَجَيْشِه إلى تَبوك قال: «إنّكم سَتأتون غَداً إن شاءَ اللّهُ عَينَ تَبوك، وَإنّكم لَن تَأتوها حتى

---

(١) بعيره الذي ينضح عليه الماء.

(٢) يُظْهِره ويرفعه.

(٣) ما يرى في نصف النهار من اشتداد الحر كالماء في المفاوز يلصق بالأرض.

يُضْحى[1] النّهارُ، فمن جاءها فلا يَمَسَّنَّ مِن مائِها شَيْئاً حتى آتي».

فَسَبَق إليهـا رَجُـلان، والعَيْـنُ مِثْـل الشِّراك[2] تبض[3] بشيء من ماءٍ، فسألَهما رسولُ اللّه ﷺ: «هل مَسَسْتُما مِن مائِها شيئاً؟»

قالا: نَعم.

فَسَبَّهما النَّبَيُ ﷺ وَقال لَهما ما شاء أَن يَقول.

ثم غَرَفوا بأيديهم من العَيْن قَليلاً،

---

(١) صار وقت الضحى.

(٢) سَيْرُ النعل على ظهر القدم.

(٣) تسيل بماء قليل جداً.

حتى اجتمع في شَيءٍ، وَغَسَلَ رسولُ اللّهِ ﷺ يَدَيه وَوَجْهَه ثم أعادَه فيها، فَجَرت العَيْنُ بماءٍ مُنْهَمرٍ[(١)] حَتى استقى، ثُم قال: «يوشِك يا مُعاذ إن طالَت بك حَياةٌ أن ترى ما هٰهنا قد مُلِيء جِناناً».

وهذا من المُبَشِّرات بعودة المسلمين أقوياء معنوياً واقتصادياً وأن أرض العرب لها مستقبل باهر إن شاء الله، ومما يؤكد هذا ما رواه الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً».

---

(١) كثير الصب والدمع.

في تبوك

وَصَلَ الجَيْشُ الإسلامِي يَقودُه مَحَمّدٌ رَسولُ اللّه ﷺ إلى تَبوك، فَعَسْكَر هُناك، وَهو مُسْتَعِدٌ لِلقاءِ الرّومِ، لكِنه لَم يَقع قِتالٌ في هذه الغَزْوَةِ، لأن الرّسولَ ﷺ لَم يَلْقَ الرّومَ الذين أَخَذَهم الرُّعْبَ فَلم يَجْتَرِئوا على التَّقَدُّمِ واللِّقاءِ، بل آثروا الاختفاءَ داخل حُدودِهم، وَلذلك قالَ رسولُ اللّه ﷺ:

«نُصرت بالرُّعِب مَسيرَة شَهْرٍ».

وَلَما رَأى حُكامُ المَناطِق المُجاورَةِ ذَلك آثروا الصُّلْحَ مَع المُسْلِمين عَلى الجزية، فَقَد أَتى أَهْلُ أَيْلَة[1]

---

(١) مدينة العقبة على ساحل البحر الأحمر.

وَجَـرْبـا[١]، وَأذرُح[٢]، وَتَيمـاء[٣]، وَدَوْمَـة الجندل[٤]، وَدَخلوا في عَهْدِ رَسولِ اللّه ﷺ، وَأَعطوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وهُم صاغِرون.

وَمَكثَ رَسولُ اللّه ﷺ عشرِين لَيلَةً يُصَلّي صَلاةَ المُسافرِ.

قال أنس: حدِّثنا يا أبي عَن صَلاةِ المُسافِر؟

قلت: صَلاةُ المُسافِر يا بُني تَتَميَّزُ عن

---

(١) قرية في الشام بينها وبين أذرح ثلاث ليالٍ.

(٢) بلدة في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء.

(٣) بلدة بين أطراف الشام ووادي القرى على طريق الحاج الشامي.

(٤) بلدة بين الشام والمدينة النبوية.

صلاةِ الحَضَرِ بالقَصْرِ والجَمْعِ.

قالت هِنْد: ما المُراد بالقَصْرِ؟

قلت: القَصْرُ هُو أن يُصلّي المُسافِرُ الصَّلاَة الرّباعِية مِثْل الظُّهْرِ والعَصْرِ والعِشاءِ رَكْعَتين، أَما الفَجْرُ والمَغْرِبُ فَلا تُقْصَر، وَالقَصْرِ فِي حَقِّ المُسافِرِ واجِبٌ.

قال مالك: ما المَقصودُ بالجَمْعِ؟

قلت: أن تُصَلِّي الظُهْرَ والعَصْرَ معاً بأذان واحد وإقامتين، فإن قُدِّمَ العَصْرُ فهو جَمْعُ تَقْديمٍ، وإن أُخِرَ الظُهْرُ فَهو جَمْعُ تَأخير، وكذلك يَجْمَعُ بين المَغرِبِ والعشاء، والجمع في حق المسافر رخصة.

وَقد ثَبت عَن رسولِ اللّه ﷺ أَنه كان

يَجْمَعُ بَين الظُّهرِ والعَصْرِ والمَغْرِبِ والعِشاءِ جَميعاً.

قال أسامة: وهَل هُناك حالات يَجوزُ للمُسلِم أَن يَجْمَع بَيْن الظُّهرْ والعَصْرِ والمَغرِبِ والعِشَاء.

قلت: نعم؛ هناك المطر، والثلج، والبَرَدُ، إذ كان في ذلك حَرجٌ على المُصَلِّين.

محاولة اغتيال رسول الله ﷺ

رَجَعَ الجَيْشُ الإسلامي مِن تَبوك مُظَفّراً مَنْصوراً لَم يَنَل كَيْداً، بَل تَوَسَّعت حدودُ الدّولَةِ الإسلامية، حتى لاقَت حُدود الرّومانِ... ولكن المُنافقين بقوا يَتآمَرون

على الإِسلام والمُسْلِمين.

قال أسامة: أَلَم تَردَعُهم هَذه الانتصارات المُؤَزَّرَةُ؟ أَلم تَوقِظُ قَلوبَهم هذه المُعجِزاتُ المُتَوالِيَةُ؟

قلت: بل مَرَدوا على النِّفاقِ، وَهَمّوا بِما لَم يَنالوا، فَقد اتَّفَقَ إِثنا عَشَر رَجُلاً مِن المُنافقين أَن يَطْرَحوا[1] رَسولَ اللّهِ ﷺ مِن رَأْس عَقَبَةٍ[2] فِي الطّريقِ، فَلَمّا بَلَغوا العَقَبَةَ، أرادوا أَن يَسْلُكوها مَعَه، فَلَمّا غَشِيَهَم رسُول اللّه ﷺ أَخْبَرَه اللّه خَبَرَهم، فَبعَثَ حُذَيْفَةَ بن اليمان فَضَرب وُجوهَ رَواحِلِهم، فَأَرعَبَهم اللّهُ فَأَسرَعوا في الفَرارِ حَتى لَحِقوا

(١) يُلْقوا.

(٢) المرقى الصعب من الجبال.

بالجَيْشِ، وكانوا مُتَلَثّمين، وَلكن رَسولَ اللّهِ ﷺ أَخَبْرَ حُذَيفَة بِما هَمّوا بِه، وَبِأسمائِهِم، وَلذلك كانَ حذيفةُ رضي الله عنه يُسَمّى صاحِبُ سِرِّ رَسولِ اللّه ﷺ.

هدم مسجد الضرار

قُبيل أَن يَخْرُجَ رَسولُ اللّه ﷺ إِلى تَبوك اتَخّذَ المُنافقون مَسْجِداً غَير مَسْجِدِ رَسولِ اللّهِ ﷺ يَلْتقونِ فيه وَحْدَهم، ويَمْكُرون فِيه بالإِسلامِ وَأَهْلِه، وَقَد ذَهَبوا إِلى رَسولِ الله وَهو يَتَجَهزُ إِلى تَبوك وَطَلبوا مِنه أن يَأتي مَسْجِدَهم فَيُصلي فِيه، لِيَخْدَعوا جُمْهورَ المُسلمين بذلك، فوعدهم رسولُ الله بذلك بعد رُجوعهِ.

وَلما نَزَلت الآياتُ تُنَدِّدُ بالمُنافقين،

وَتَبَيَّنُ أَلاعيبهم، وَتُمَزِّقُ الأَستارَ التي يَتوارَون خَلْفها، فَلم يَعُدْ التَّعامُلُ مَع المنافِقين يَقومُ على السَّتْرِ وَعَدَم المُجابَهَةِ، بل صارت المُفاصَلَةُ أساساً للتَعامُلِ...
أَرسَل رسولُ اللّهِ ﷺ اثنين من أَصحابه إلى مَسْجِد الضِّرارِ وَأَمَرهم أن يُحَرِّقوه وَيَهْدُمُوه.

وَجاء الرّجلانِ يَحمِلان الشُّعَلَ الحارِقَةَ فَلما رَأى أَهْله ذلك فَرُّوا مَذعورين، وَفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ

يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

استقبال المسلمين للرسول ﷺ

وَقَدِم رسولُ اللّه ﷺ المَدينَةَ، فَلَمّا دنا منها ولاحت مَعالِمُها قال: «هذه طابَةُ، وهَذا أُحُد جَبَلٌ يُحِبّنا وَنُحِبُّه».

وَخرج أَهْلَها مِن النّساءِ والصّبيانِ والوَلائِد يُنْشِدنَ:

طلـــع البَــدْرُ عَلَينــا

مِـــن ثَنيـــات الـــوَداع

وَجَـــبَ الشُكْـــرُ عَلينـــا

مـــا دَعـــا لِلـــه داع

قالت هِنْد: أَلم يَكن هذا الاستقبالُ عِند مَقْدَمِ رَسولِ اللّه ﷺ مُهاجِراً مِن مَكة إلى المدينة؟

قلت: هذا ما تناقله العَوامُ، لكِن أَهْلَ العِلْمِ ذَكروا ما تَقَدَّم.

قال أسامة: اذكر لنا مَصْدَراً مِن مَصادِرِ السيرَةِ النّبويَةِ لِنَرجِعَ إليه في هذه الحادِثَة.

قلت: احضر «زاد المعاد» واقرأ ما

ذكره ابن قيم الجوزية. . . «وبَعْضُ الرّواة يَهِم في هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مَقْدَمِه إلى المدينة من مَكَّة، وهو وَهْمٌ ظاهرٌ؛ لأن ثَنِيات الوَداع أَنما هي مِن ناحِيَةِ الشّامِ، لا يراها القادِمُ مِن مَكَّة إلى المَدينَةِ، وَلا يَمُر بِها إلا إذا تَوجّه إلى الشّام».

الصدق منجاة

قال أنس: ماذا فَعل رَسولُ اللّه ﷺ بالمُخَلَّفِين؟

قلت: لَقد لَخَص ابنُ قَيم الجَوزِية ذلك في كتابه «زاد المعاد» تلخيصاً حسناً فقال: وَلَمّا دَخَلَ رَسولُ اللّهِ ﷺ المَدينَة بَدأ بالمَسْجِد، فصلى فيه رَكعتين، ثُمّ جَلَس للنّاسِ، فَجاءَه المُخَلّفون، فطَفِقوا يَعْتَذِرون

إليه، وَيْحلِفون لَه، وَكانوا بضعاً وثمانين رَجُلاً؛ فقَبل مِنهم رسولُ الله ﷺ عَلانيتهم، وبايَعهم، واستغفرَ لَهم، وَوَكل سَرائِرَهم إلى اللّه.

وَجاءَه كَعْبُ بنُ مالِك، فَلما سَلَّم عَليه، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغضَبِ، ثم قال له: تَعال، قال: فَجِئتُ أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي:

«ما خلَّفكَ، ألم تكُن قَد ابتَعتَ ظَهْرَك»؟[1]

فقلتُ: بَلى، إني واللّهُ لو جَلَستُ

---

(١) الدابة التي تحمل عليها الأثقال أو تعد للركوب.

عندَ غيرِكَ من أهلِ الدنيا، لرأيتُ أن أخرُجَ مِن سَخَطِهِ بِعُذرٍ، وَلَقد أُعطيتُ جَدَلاً، وَلكني واللّه لَقد علمتُ إن حدَّثتُك اليوم حديثَ كَذبٍ تَرضى بِه عليَّ، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أن يُسخطكَ عليَّ، ولئن حدَّثتُكَ حديث صِدْقٍ، تَجِدُ عليَّ فيه، إنِّي لأرجو فيه عفوَ الله عني، والله ما كان لي مِن عُذْرٍ، واللّه ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيسرُ مِني حين تخلفتُ عَنك، فقال رسول الله ﷺ:

«أَما هذا فَقَد صَدَق، فَقُم حتى يقضيَ اللهُ فيك».

فَقَمتُ، وَثار رجالٌ مِن بني سَلَمَة، فاتبعوني يُؤَنِّبوني، فقالوا لي: واللّهِ ما عَلِمناك كنت أَذْنَبت ذَنْباً قَبل هذا، وَلَقد

عَجَزْتَ أَلا تكون اعتذرتَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بما اعتذرَ إليه المُخَلَّفونَ، فقد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسولِ اللّه ﷺ لَك.
قال: فوالله مازالوا يُؤنبوني حتى أردتُ أن أَرجع، فَأكذِبَ نفسي، ثم قلت لهم: هل لَقي هذا معي أَحدَ؟ قالوا: نَعم رَجُلان قالا مثل ما قلت. فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: مَن هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العامري، وهلالُ بن أُمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالِحين شَهِدا بَدراً فيهما أُسوَة، فَمَضيت حين ذكروهما لي.

وَنهى رسولُ اللّه ﷺ المُسْلِمين عن كلامِنا أَيُّها الثَّلاثَةُ مِن بين مَن تَخَلَّف عنه، فاجتَنَبنا النّاسُ، وَتَغيَّروا لنا، حتّى تَنكرت

لي الأرضُ، فَما هي بالتي أعرِفُ.

فَلَبْثنا عَلى ذلك خَمْسين لَيلَةً. فأمّا صاحباي، فاستكانا وقعدا في بيوتِهما يَبكيان، وأمّا أنا فَكُنْت أشبَّ القوم وأجلَدَهم.

فكنت أخرجُ، فأشهدُ الصلاةَ مع المُسلمين، وأطوفُ في الأَسواق، ولا يُكلمني أَحَدٌ، وآتي رسولَ الله ﷺ، فأسَلِّمُ عليه وهو في مَجلِسه بعد الصّلاةِ، فأقولُ في نَفْسي: هَل حرّك شَفَتيه بردِّ السّلام عليَّ أم لا؟ ثُم أُصَلي قريباً منه، فأُسارقِه النَّظَرَ، فإذا أقبلتُ على صَلاتي، أقبلَ إليَّ، وإذا التفتُّ نَحوه، أعرضَ عني، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفْوةِ المُسلمين، مَشَيتُ حتى

تسوَّرت[١] جدار حائط[٢] أبي قتادة، وهو ابنُ عمي، وأحبُّ الناس إليَّ، فَسَلمتُ عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السّلامَ، فقلت: يا أَبا قتادة أنشدُك باللّهِ، هل تعلَمُني أُحبَّ الله ورسوله ﷺ؟ فسكت، فعدت، فناشدته، فَسَكَت، فَعَدت فَنَاشَدتُه، فقال: اللهُ ورسولُه أَعلَمُ، ففاضَت عيناي، وتولَّيت حتى تسَوَّرتُ الجِدار.

فَبَينا أنا أَمشي بسوق المدينة، إذا نَبَطي[٣] من أنباطِ الشام ممن قَدَم بالطّعامِ

(١) علوت سور بساته.

(٢) بستان.

(٣) الفلاح سمي به، لأنه يستنبط الماء، أي: يستخرجه.

يَبيعه بالمدينة يقول: من يَدُلُّ على كَعبِ بنِ مالك، فَطَفِق الناسُ يُشيرون لَه حتى إذا جاءني، دَفع إليَّ كتاباً من مَلِك غسان، فإذا فيه: أما بعد: فإنّه بَلَغني أَن صاحبَك قد جَفاك، ولم يَجعلْك اللّهُ بدارِ هَوانٍ، ولا مَضْيعة، فالحَقْ بنا نُواسيك.

فقلتُ لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاءِ، فتَيَمْمتُ[1] بها التّنورَ[2]، فَسَجرْتُها[3].

حتى إذا مَضت أربعون لَيْلَةً مِن الخَمسين، إذا رسولُ اللّه ﷺ

---

(١) قصدت.

(٢) ما يخبز فيه.

(٣) حرَقتها.

يأتيني، فقال: إنّ رسولَ اللّه ﷺ يأمُرُك أن تَعَتزِل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا؟ قال: لا ولكن اعتَزِلْها ولا تَقْرَبها، وَأَرسَل إلى صاحِبيّ مثل ذلك.

فقلت لامرأتي: الحقي بأهلَكِ، فكوني عِندهم حتى يَقضيَ اللّهُ في هذا الأَمْرِ.

فجاءت امرأةُ هلالِ بنُ أُميّة، فقالت: يا رسولَ اللّه إن هلالَ بن أُمية شَيْخٌ ضائعٌ ليس له خادمٌ، فَهل تكره أَن أَخْدُمَه، قال: لا وَلكن لا يَقْرَبك، قالت: إنّه واللّه ما به حَرَكَةٌ إلى شَيء، واللّه مازالَ يَبْكي منذ كان من أمرِه ما كان إلى يومِه هذا.

قال كعب: فقال لي بعضُ أَهلي: لو استأذنت رسولَ اللّه ﷺ في امرأتِك كما أذن

لامرأةِ هلال بن أُمية أن تَخْدُمَه، فقلت: واللّه لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقولُ رسول اللّه ﷺ إذا استأذَنْتُه فيها، وأنا رَجُلٌ شابٌّ.

وَلَبثت بعد ذلك عَشرَ ليالٍ حتى كَمُلَت لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسولُ الله ﷺ عن كلامِنا، فَلمّا صليتُ صَلاةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمسين لَيلةً على سَطْح بَيْتٍ من بيوتِنا، بَينا أنا جالِسٌ على الحالِ التي ذكر اللّه تَعالى، قد ضاقَت عليَّ نَفْسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رَحُبَت[1]، سمعتُ صوتَ صارِخٍ أوفى[2] على جبل سَلْعٍ بأعلى

(١) اتسعت.

(٢) علا.

صوتِه: يا كعبَ بن مالك أَبْشِر، فَخَررتُ ساجِداً، فَعرفتُ أَن قد جاء فرجٌ مِن اللّهِ.

وآذن رسولُ اللّه ﷺ بِتَوبَةِ اللّه عَلَينا حين صَلَّى الفَجْرَ، فَذَهب الناسُ يُبشروننا، وذهب قِبَلَ صاحبي مُبَشّرون، وَرَكَضَ إليَّ رجلٌ فَرَساً، وَسَعى ساع من أَسْلَم، فأوفى على ذَروةِ الجَبَل، وكان الصوتُ أسرعَ مِن الفَرَس، فَلَما جاءني الذي سَمِعت صَوتَه يُبَشِّرُني، نَزَعتُ لَه ثوبيَّ فَكَسوتُه إياهما بِبُشراه، واللّه ما أملك غَيْرَهما، واستعرتُ ثوبين، فَلَبستُهما، فانطَلقتُ إلى رسولِ اللّه ﷺ، فَتَلقاني الناسُ فوجاً فوجاً يُهنئونني بالتوبة، يقولون: ليهْنِكَ توبةُ اللّهِ عَليك.

قال كعب: حتى دَخلتُ المَسْجِد،

فإذا رسولُ الله ﷺ جالسٌ حولَه الناسُ، فقام إليَّ طلحةُ بن عُبيد الله يُهرولُ حتى صافَحني وهنَّأني، والله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غَيره، وَلَست أَنساها لِطَلْحَة، فلمَّا سلَّمتُ على رسولِ اللّه ﷺ، قال وهو يَبْرُقُ وجهُه من السّرورِ: «أبشر بخَيْرٍ يومٍ مرَّ عليكَ مُنْذُ ولَدَتْكَ أُمُّك».

قال: قلت: أمِن عندكَ يا رسولَ الله، أم من عندِ اللّه؟

قال: «لا بل من عندِ اللّه».

وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهُه حتى كأنه قِطعةُ قَمَرٍ، وكنا نَعْرِفُ ذلك منه، فلمَّا جلستُ بين يديه، قلت: يا رسولَ الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي

صَدَقةً إلى الله، وإِلى رسولِه، فقال: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك».

قلت: فإني أُمْسِكُ سَهمي الّذي بخيبر.

فقلت: يا رسولَ الله إن الله إنما نَجّانِي بالصِّدق، وإن من تَوبَتي ألاَّ أَحَدِّثُ إلا صِدْقاً ما بقيتُ، فوالله ما أعلم أَحداً مِن المسلمين أبلاه اللّه في صِدْقِ الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ اللّه ﷺ إلى يومي هذا ما أبلاني، والله ما تعمدتُ بعد ذلك إلى يومي هذا كَذباً، وإني لأرجو أن يَحْفَظني الله فيما بقيت، فأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى

سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

فوالله ما أنعم الله عليَّ نعمة قطُّ بعد أن هداني للإسلام، أعظمَ في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ، أن لا أكون كذبته، فأهلكَ كما هلكَ الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ

وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ .

قال كعب: وكان تخلُّفنا أيّه الثَّلاثَةُ عن أَمرِ أولئك الذين قَبِل مِنْهم رسولُ الله ﷺ حين حَلَفوا له، فَبايعهم، واستَغْفَر لهم، وَأَرجأ أَمْرَنا حتى قَضى اللّهُ فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾. وليس الذي ذَكر اللّهُ مما خلفنا عَن الغَزْوِ، وإنما هو تخليفُه إيَّانا، وإرجاؤُه أمرنا عمن حلَف له، واعتذر إليه فقبل منه.

وغادر الأبناء مجالسهم مرددين دعاء

كفارة المجلس على أمل اللقاء بإذن الله وحده؛ ليستمعوا إلى الحلقة الأخيرة في هذه المجموعة المباركة إن شاء الله تعالى.

* * *

معلومات

تمارين

أنشطة

* أضَع دائرة حول رمز الجواب الصحيح:

١ ـ حدثت غزوة تبوك في فصل:

أ ـ القيظ.

ب ـ الشتاء.

ج ـ الربيع.

٢ ـ كان المسلمون يتخوفون ملكاً من ملوك:

أ ـ المناذرة.

ب ـ الفرس.

ج ـ الغساسنة.

٣ ـ ساعة العسرة هي:

أ ـ غزوة حنين.

ب ـ غزوة الحديبية.

ج ـ غزوة تبوك.

٤ ـ السورة التي وردت فيها أحداث غزوة تبوك هي:

أ ـ البقرة.

ب ـ التوبة.

ج ـ الأنفال.

٥ ـ صاحب سر رسول الله ﷺ هو:

أ ـ عمر بن الخطاب.

ب ـ حذيفة بن اليمان.

ج ـ معاذ بن جبل رضي الله عنه.

※ أقارن بين مواقف المؤمنين والمنافقين في غزوة تبوك:

المؤمنون	المنافقون
....	....
....	....
....	....
....	....
....	....

※ استخرج من أحداث غزوة تبوك مواقف تدل على:

١ ـ شدة حب الصحابة لرسول الله ﷺ.

....

٢ ـ صدق الصحابة رضي الله عنهم.

. . . .

٣ ـ كرم الصحابة رضي الله عنهم وسخاؤهم.

. . . .

٤ ـ التزام الصحابة رضي الله عنهم بأوامر رسول الله ﷺ.

. . . .

٥ ـ المستقبل للإسلام والمسلمين.

. . . .

* بينت أحداث غزوة تبوك أن أعداء الإسلام يراقبون المسلمين في كل حركاتهم

وسكناتهم هات مثالين على ذلك:

١ ـ ....

٢ ـ ....

* أصل بين العامود (أ) وما يناسبه في العامود (ب):

(أ)	(ب)
المُدُّ	الدابة التي تحمل الأثقال ويركب عليها
الظهر	ديار ثمود
الحجر	مكيال قديم يقدر بملء حفنة الرجل المتوسط
الضِّحِّ	مايظهر في نصف

النهار من اشتداد الحر في المفاوز كالماء.

السَّراب المرقى الصعب من الجبال

❊ ❊ ❊


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com